بعد التطوّرات والتداعيات التي قد تنجم عن توازن القوى العربي ـ الاسرائيلي الجديد.

٢ ـ بالنسبة الى التداعيات السكانية للعلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية المتنامية، يمكن القول ان معظم المخاوف العربية، في هذا الجانب، تأتي من التأثيرات المحتملة لسياسة هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل. ذلك ان السياسة السوفياتية الجديدة مع واشنطن أفصحت عن استعدادها للسماح بعدد من الاجراءات الخاصة باليهود السوفيات؛ منها، الى جانب فتح باب الهجرة، السماح بعمليات التثقيف اليهودي في أوساطهم، وانشاء علاقات مع يهود العالم، وفتح خطوط جوية مباشرة للمهاجرين الى اسرائيل[٣٧]. وغني عن الذكر انه قد أضحى معلوماً، الآن، كيف ان هذه السياسة قد أثمرت بالفعل.

وفي حقيقة الامر، فان للقلق العربي من نتائج هذه الظاهرة ما يبرره؛ ذلك ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي هو، في التحليل النهائي، صراع على الارض؛ ولا شك في ان مزيداً من المهاجرين يعني مزيداً من المستوطنين على الارض العربية، ثمّ مزيداً على الرغبة الاسرائيلية في التوسّع على الارض العربية المحتلة وتهديداً للارض العربية غير المحتلة. كما ان الهجرة تقود الى دعم القوة البشرية لاسرائيل، واختلال التوازن السكاني على أرض فلسطين بصورة متزايدة في صالح العنصر اليهودي. وثمّة احتمال كبير لتعنّت اسرائيل في موضوع الانسحاب من فلسطين المحتلة، وامكانية لاتساع التواصل بين المهاجرين اليهود السوفيات والعنصر اليهودي الذي يتبقى في الاتحاد السوفياتي ذاته، ممّا يخلق مصلحة مشتركة بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل في دائرة معيّنة؛ هذا فضلاً عن ضرورة الاشارة الى تلك التقارير التي أثبتت ان المهاجرين اليهود، ذوي الاصول السوفياتية، يميلون، في اسرائيل، الى تأييد القوى الارهابية والقومية المتطرّفة بصورة ملفتة للنظر، وانهم أكثر تشدّداً، في مواقفهم، ضد العرب والفلسطينيين. وعلّل البعض السلوك هذا بأنه ردّ فعل على سنوات طويلة من الكبت عاشتها هذه الشريحة داخل المجتمع السوفياتي. وعلى ذلك، فان حركة الهجرة سوف تقوّي عود الحركات السياسية ذات التوجّهات الارهابية الصريحة. وفي هذا الجانب، يشار الى ان أبناء هذه الشريحة (اليهود السوفيات) كانوا الأكثر معارضة لانسحاب اسرائيل من على سيناء، في العام ١٩٨٢[٣٨].

من بين مبرّرات القلق العربي، أيضاً، ان مصادر الهجرة اليهودية في مختلف أنحاء العالم أوشكت على ان تجف بالفعل، وان أكبر مخزنين للعنصر اليهودي ـ خارج اسرائيل ـ يقعان في الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي. ولمّا كانت الطائفة اليهودية الاميركية ليست لديها النيّة في الهجرة الى اسرائيل[٣٩]، فان فتح المخزن اليهودي السوفياتي نحوها يمثّل طوق نجاة بشرياً لاسرائيل في المنطقة العربية.

لا ريب في ان لهذه المخاوف ما يبررها، فلسطينياً وعربياً، الامر الذي نلمسه في تفجّر موجة من السخط والغضب والانشغال، على الصعيدين، الشعبي والرسمي، وهي أمور بلغت ذروتها في عقد مؤتمر استثنائي للقمة العربية، بين ٢٨ و٣٠ أيار (مايو) ١٩٩٠، خصّ الموضوع وتداعياته بالجزء الاكبر من اهتماماته. ومع ذلك، فان بالامكان التفكير في الظاهرة في حدود رؤيا استراتيجية مختلفة. تقوم الرؤيا هذه، في جوهرها، على افتراض ان الجهود العربية قد تفشل في اقناع، أو اكراه، الاتحاد السوفياتي بلجم تيار الغزوة السكانية اليهودية القائمة، بفعل متغيّرات داخلية وخارجية مختلفة؛ كما تقوم هذه الرؤيا، في الوقت عينه، على افتراض ما هو أسوأ من ذلك، وهو نجاح الحركة الصهيونية ومناصرتها في اجتذاب شريحة يهودية أخرى الى جانب اليهود السوفيات في مرحلة تالية[٤٠].